

حياة المفتى الأكبر

كما يرويها كاتب انجليزى

كتبه : ا . ر . يارما

ترجمه : على ذكريا

وقبل هناك بكل مظاهر الاحتفاء والتكريم وأقيمت له الاحتفالات وأعدت له التسهيلات اللازمة لعيشة مريحة ، ولكنه منع من أى نشاط سياسى .

وفى ذلك الوقت ثار رشيد على الكيلانى ضد الحلفاء - ابريل سنة ١٩٤١ - وفشلت ثورته فهرب ثم حكم عليه العراقيون - فيما بعد بالاعدام، ولم يبق للمفتى إلا أن يهرب أيضا فذهب إلى طهران .

وعندما نزلت جيوش البريطانيين والسوفييت فى إيران تعهدت إيران بالقبض عليه ولكن المفتى ابتسم ساخراً ، وكان فى اليوم التالى فى روما .

وفى ديسمبر سنة ١٩٤١ قابل المفتى هتلر فى برلين . وفى عام ١٩٤٥ كان الحلفاء يتسابقون فى احتلال الأراضى الألمانية ، فما كان من المفتى إلا أن يتجه نحو سويسرا يصاحبه مستشاره الطبى ، وقد قبض على الطيار الألمانى وطلب من المفتى أن يغادر البلاد : وفى جنوب ألمانيا اعتقلته الجيوش الفرنسية ومكث فى باريس سنتين ، وأنا أعتقد أن المسيو جورج يبدو قد أعطى تعهداً شخصياً للمستتر بيفن ألا يغادر المفتى باريس .

وفى فترة من الزمن مدتها أسبوعان كان المفتى يشكو من مرض ألزيمه الفراش ، وفى هذا الوقت نفسه كان هناك رجل سورى حليق الذقن يدخل طائرة أمريكية ، وبعد يومين أو ثلاثة تمكن هذا السورى من الذهاب إلى قصر عابدين ، منزل الملك فاروق بالقاهرة لاجئاً إليه بوصفه مواطناً مسلماً وقد أصغى إليه الملك وأكرم وفادته .

والمفتى كما يبدو من تصريحاته، لا يضر كراهية للحلفاء أو الأمريكين أو اليهود الذين لا يناصرون الصهيونية . وهو - فى رأى قد أعرب فى صراحة عما ينوى العرب عمله حينما تنفذ هيئة الأمم مشروع التقسيم بقوله (إن الشعوب العربية والاسلامية ستقاومه بكل مالهيا من وسائل) .

كنت أحتسئ القهوة - فى مكان ما بالقاهرة - فى آنية صغيرة أنيقة ، وكنت مرهفاً سمعى للحديث الهادى والصوت الرخيم من تلك الشخصية الثائرة فى السياسة العربية الحديثة . كانت يدها بيضاوان رقيقتان وصوته هادىء ولهجته ودية ، وكنت وأنا أنجاذب معه أطراف الحديث ، أفكر فى حياته الغربية فى هذا الربع الأخير من القرن المفعم بالقتال والحروب .

لقد أكمل تعليمه فى مدرسة بالقدس ثم فى الأزهر - تلك الجامعة الاسلامية الكبرى التى مضى عليها أكثر من ألف عام - وقد خدم فى الجيش التركى كضابط ، ثم تولى عدة مناصب فى فلسطين ، حتى إذ أعلن وعد بلفور للشعب اليهودى عام ١٨٩١ انقلب المفتى على بريطانيا ، وتعرض لشوط طويل من السجن نظراً لنشاطه ضد الصهيونية ، ولكن استطاع أن يهرب إلى شرق الأردن ، تلك المملكة الصغيرة التى يحكمها الآن الملك عبد الله .

ولكن القدر المحتوم أتاح أن يعود المفتى إلى فلسطين وقد عفى عنه بفضل مساعى السير هربرت (اللورد صمويل الآن) وانتخب بعد ذلك مفتياً للديار الفلسطينية ، وصار فيما بعد رئيساً للعلماء فى المجلس الاسلامى الأعلى ومشرفاً على كل القضاة الدينيين .

وكان هذا الزعيم الدينى فناً أيضاً فقد أشرف على إصلاح المسجد الأقصى المعروف ، كما كان سياسياً فقد كان فى الوقت نفسه زعيماً للهيئة العربية العليا .

ثم حاولت الحكومة القبض عليه نظراً لنشاطه الملحوظ ولكن الحماج أمين الحسينى هزأ بأمر اعتقاله وقضى أسبوعين أو ثلاثة فى جامع عمر عند جدار المبكى . ثم أدهش العالم حينما علم أنه نزل بيروت فى لبنان ، متكرراً بزي بدوى بسيط

وعند ما قامت الحرب سبق المفتى فرنسا بهرباً إلى العراق